

## معرض نعمة.. خيال الظل في ضبابية الانتظار

بيروت - لوريس الرشعيني



يعيش غاليري زمان الحمرا حالات انتظار متشعبة غزت جدرانها العتيقة في حمل الإبداع الفني، فترقبت الحدث واستشرفت أحداثاً عبر زمان ومكان وشخص الفنان التشكيلي يوسف نعمة في معرضه الجديد الذي حمل عنوان «انتظار».

حول غيوم الانتظار البهيماء والبنية والسوداء دار معرض نعمة وجال، بمحورية شخوص تفوقعت حول الرجل الذي حمل الهم التشكيلي للمعرض، حيث لم تظهر وراء ضبابية رسوماته المجسدة سوى لوحة أنثوية واحدة تجلس في الطبيعة، منتظرة تتقرب هاجساً من هواجس نفسها.. وقد عالج نعمة معظم لوحاته بلعبة خيال الظل الذي أشبع الموضوع وزاده أمداً، فخاطب بوضوح عين المشاهد وأثقل إحساسه بالوقت مع المكان، وولد في نفسه تساؤلات وهواجس عاشقة اللوحة وأدمجت الأرواح المنطبعة مع الأرواح القارئة لذلك الانطباع.

اعتمد الفنان في معرضه على المساحات الواسعة للوحة التي يعتقد أنها أكثر خدمة للموضوع ولروحته، وضمن لعبة الخيال لم يحدد ملامح أشخاصه، إلا أن وحيها طغى على كلية اللوحة فمنحت بتموضعها ووضعيتها خصوصية وإحساساً مختلفاً وفق كل حالة مجسدة، فنرى في بعض لوحاته بروزاً ونفوراً للأشخاص عن الخلفية، ونطقاً لوحياً وللون ظلها وتحديد خطي لهيكلها، وقد يغيب ذلك في لوحات أخرى، حيث يتحد الشخص مع الخلفية وتتشرب الألوان من كؤوس بعضها فتتحد اللوحة في كل ناطق بحالة تزداد ضبابية عن غيرها في غموض الانتظار المعالج أصلاً، وللوحات نعمة المنتظرة امتداد تاريخي جلي في طريقة المعالجة، فقد يستنهض إحياء اللوحة حالة انتظار في العصر الحجري، منتقلاً إلى عهود متلاحقة وصولاً إلى حالات قد تحدث مستقبلاً في لوحات

خاطب من خلالها التكنولوجيا البحتة في تقرير للميديا والفوتوغراف ومزاوجتهما للتشكيل التقليدي. وقد سبح الفنان مغرقاً بخيالية الشكل أكثر من تفاصيله، وغرب في تشكيكه ما بين الواقع والحالة النفسية، فانبثقت أطيافه من اليومي الأليف ومن استحضار الزمن وخارجه، فجاءت ساحة العرض نسيجاً مشهيداً لحالات إنسانية متفردة أو متشعبة في أفق معاناتها، وتأخذنا حركة الجسد المنحنية المندمجة مع محيطها بتجريد راقص، أو المنتصبه ممتدة تعانق السماء متشبثة بالأرض، أو المستقطبة لمحيط اللوحة ممتدة نحو زواياها، منحلة بأرضيتها جسداً ولوناً، إلى جانب قفر الخلفية أحياناً وغناها باللون، وتشعب تشكيلها أحياناً أخرى مع محدودية شخوصها ونفور تحديداتهم، عدا عن وحدوية الألوان ووضوحها في بعض المعالجات وكثافتها وتعاشقها في معالجات أخرى، كل ذلك الإيحاء الغني بالإيقاع يأخذنا نحو أوبريت ضخمة تعالج النفس البشرية ضمن خيال الواقع.

لقد جاءت ألوانه في لوحات الانتظار القلق المحزن أحادية شفافة الطابع، حتى عند مزجها بغيرها، فقد طغى لون واحد عَتمَ بنظليل وحيه أو بظل شخوصه ليزيد الموضوع ضبابية وسكوناً يخدم الحالة المطلوب من الرائي استشفافها.

وقد لجأ نعمة الى إبراز واقع لوحاته الضبابية المحملة بالتفحيم أحياناً إلى اعتماد الهالة الضوئية حول الأشخاص غالباً، واللجوء إلى «الميكس ميديا» التغريبية غير المنمقة، محتكراً «الفوتوغراف» العشوائي في تجسيدها أحياناً أخرى، مع ثبات إيحاءات مائية ولدها «تاتش» الغراء النافر من اللوحة ليحيي غور النظر بتشويش منه.

وحسب نعمة، فإن استخدام تلك التقنيات كان من شأنه أن يكشف حالات الانتظار السلبي والإيجابي وكل تشعباته، إن من خلال الألوان أو المواد المختلفة المستخدمة، وصولاً إلى وضعية الأشخاص وتعابير أجسادها.

تاريخ النشر : 24-02-2010